المديرية العامة للإعداد والتدريب
معهد التدريب والتطوير التربوي

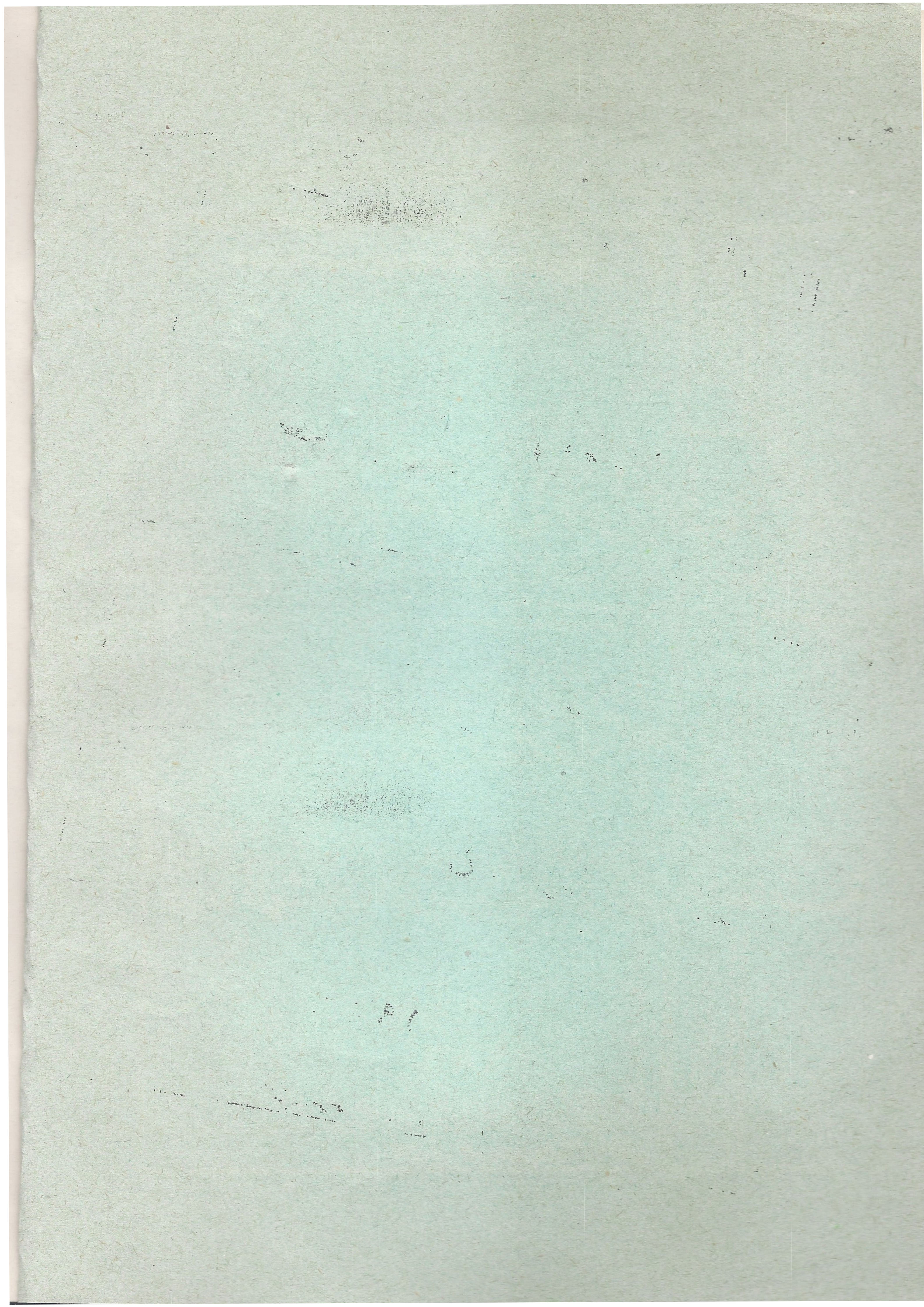
علم نفس الخواص

الدكتور نوري جعفر

دورة المرشدين التربويين المركزية الخامسة

١٩٨٦

مكتب أبو عماد للطباعة / المتنبي



المديرية العامة للاعداد والتدريب
معهد التدريب والتطوير التربوي

علم نفس الخواص

الدكتور نوري جعفر

دورة المرشدين التربويين المركزية الخامسة

١٩٨٦

مكتب أبو تمام للطباعة / المتنبي

المحتويـــات

اولا : المقدمة : معلومات تمهيدية عامـــة :

علم نفس الخواص ـ او علم نفس غير الاعتياديين ـ فرع جديد من فـروع علم النفس المعاصر يعني بدراسـة فئـات معينـة من الناس ـ في اعمـار متفاوتـة وبخاصة في مراحـل النمو الاولى اثناء مرحلة الدراسـة الابتدائيـة والمتوسطة ـ لاختلافهـم عن الاشخاص الاسـوياء ـ وهم اغلبية النـاس ـ ويكشف عن العوامل السايكولوجية والاجتماعية المؤدبـة الى حدوث ذلـك الاختلاف ويقترح مجموعة من الاجراءات التربويـة الخاصة بكل فئـة من تلـك الفئـات .

وبما ان الناس ـ بمن فيهم التلاميذ بالطبع ـ ينقسمون على وجـــه العموم الى فئتين هما : فئة الاسوياء ـ وهم الاغلبية العظمى مـــن السكان ـ وهي فئة غير الاسوياء او غير الاعتياديين ـ وهم اقليـة نسبيـة من السكان ـ فقد انقسـم علم النفس بدوره من هذه الزاوية الى قسمين هما : علم نفس الاسوياء الذى يدرس القدرات العقلية للاسوياء وانمـــاط سلوكهم من جهة وعلم نفس غير الاسوياء الذى يدرس القدرات العقلية لغيــر الاسوياء وانماط سلوكهم .. وبما ان غير الاسوياء ينقسمون بدورهم الى فئـات متباينـة في القدرات العقلية وفي السلوك فقد انقسم علم نفس غيـــر الاسوياء الى فروع متعددة يختص كل منها بدراسة فئـة من فئات غيـــر الاسوياء : وهي كثيرة ابرزها في مجال التعليم بصورة خاصة ـ وهو الذى يهمنا

في هذه المحاضرات الموجزه ـ : الموهوبون والمتميزون والمتخلفون عقليا وبطيئو التعلم او المتخلفون دراســيا " والمعوقون حسيا : الصم : البكم : فاقدو البصر

وبما ان علم النفس على وجه العموم (بجانبيه علم نفس الاســـوياء وعلم نفس غير الاسوياء) من الممكن ان يتخذ اتجاهات متعددة (ومتباينــة الى درجة التناقض احيانا) فقد ارتأينـا ان نركز اهتمامنا بالدرجة الاولى في هذه المحاضرات الموجزة في الاتجاه الحديث الذى يربط بين علم النفس وعلوم الطب (وبخاصــة علم فسلجة الدماغ : الذى هو عضو العمليات العقلية والاساس الجسمي للسلوك) وهو الاتجاه العلمي الجديد الـــذى اخذ بالانتشـار في الدول المتقدمه على اختلاف انظمتها السياســية والاقتصادية والذى اخذ يحل بالتدريج محل الاتجاهات القديمة التــي مازالت شائعة مع الاسف الشديد ـ في الدول النامية وبضمنها الاقطــار العربية كما يظهر ذلك بأوضح اشكاله في كليات التربية وفي معاهد اعــداد المعلمين وفي المحاضرات التي تلقى في الدورات التربويــة نظرية الذكاء الفطرى:

ـ ٢ ـ

من الملاحظ ان الاشخاص الاسوياء يختلفون في قدراتهم العقليـــة ـ المعبر عنها في منجزاتهم الفكرية وفي مجرى حياتهم اليومية المعتاده ـ • ومن ومن الملاحظ ايضا ان بعض الناس الاسوياء يتصف انتاجه الفكرى بالاصـالة او الابتكار فقد استرعـت هذه الظاهرة السايكولوجية الغريبــة اهتمام الباحثين منذ اقدم العصور وذهبوا في تفسير طبيعتها مذاهب شتى • وحدث شيء



مماثل ـ في الجهة المعاكسة ـ لدى المتخلفين عقليا وفي الدراسة •

لقد بدأت اولى المحاولات المتبلورة في تفسير طبيعة الناس **،

الاسوياء من الناحية التاريخية ـ على ما نعلم ـ لدى افلاطون (٤٤٧ـ٣٢٧

ق • م) الفيلسوف اليوناني المشهور الذي ميز بين ثلاث فئات او مراتب

او طبقات اجتماعية من الناس الاسوياء من ناحية تركيبها العقلي بنظره : الاقلية

الحددية من السكان المكونة من معدن الذهب وهي الارقى في مستوى

تفكيرها • تليها فئة اخرى اكثر عددا واقل في تفكيرها وهي مؤلفة من معدن

الفضة • اما الاغلبية الساحقة من السكان الواطئة التفكير فمؤلفة ـ بنظره ـ

من معدن الحديد •

وتلاحقت المحاولات السايكولوجية الرامية الى الكشف عن طبيعة

اختلاف مستويات التفكير بين الناس الاسوياء منهم وغير الاسوياء ايضا ـ

وانتهت في القرن الماضي (قبل نشوء النزعة الطبية الحديثة) بنظرية

الذكاء الفطرى التي وضع جذورها عالم الاحياء البريطاني فرنسس كالتن

(١٨٢٢ ـ ١٩١١) وطورها من بعده منذ مطلع هذا القرن كارل سبيرمن

(١٨٦٣ ـ ١٩٤٤) عالم النفس البريطاني • والذكاء ـ من وجهة النظر

هذه ـ قدرة فكريه عامة فطرية (بمعنى موروثة وراثة بايولوجية تختلف كميتها

باختلاف الافراد ولاتتأثر بالعوامل البيئية الا بصورة ضئيلة • وللكشف عنها

لابد من استخدام مقاييس عقلية او اختبارات خاصة تسمى اختبارات او مقاييس

الذكاء التي ترتبط تاريخيا باسم الطبيب الفرنسي الفرد بينيه (١٨٥٦ـ١٩١١) والناس ينقسمون على وجه العموم من حيث الذكاء الفطرى الذى نقيسه بمقاييس الذكاء الى اغلبية ساحقة تقع في الوسط حاصل الذكاء عند افرادها حوالي (١٠٠) درجة اقل او اكثر قليلا٠ وهؤلاء هم الاسوياء ٠ وتوجد في الجهة العليا من المنحنى الجرسي اقلية عددية ضئيله يتجاوز حاصل الذكاء عند افرادها (١٠٠) درجة وهم فئة الاذكياء ٠ والذين يتجاوز حاصل ذكاء كل منهم (١٣٧) درجة هم الموهوبون والمتميزون ٠ اما في الجهة الدنيا من المنحني الجرسي فتقع فئة المتخلفين عقليا ودراسيا الذين يكون حاصل ذكاء كل منهم اقل من (١٠٠) درجة ٠

ـ ٣ ـ

اما النظرية الجديدة لعلم النفس (بجانبيه علم نفس الاسوياء وعلم نفس غير الاسوياء وفئاتهم المتعددة ـ الموهوبون والمتميزون والمتخلفون عقليا وبطيئو الفهم او المتأخرون في الدراسة) فترتبط كما ذكرنا بعلوم الطب وتعتبر الدماغ الاساس الجسمي للحياة العقلية عند جميع الناس وان الاختلافات الفكرية بين الناس اساسها وجود اختلافات في تركيب الدماغ من جهة وبفعل الظروف البيئيه الاجتماعية والثقافية المختلفة باختلاف المجتمعات من جهة اخرى وهو ما سنتحدث عنه بشيء من التفصيل في المحاضرات القادمة ٠



ثانيا : الموهوبون والمتميـــزون :

- ١ -

ثبت ـ في ضوء علوم الدماغ المعاصرة ـ ان دماغ الانسان ينفرد بكونـه مؤلفا من خلايا عصبيـة يتجاوز مجموعها (١٥٫٠٠٠) مليون عصبية • وان القسم الاعلى من الدماغ الذى هو المخ يستأثر بزهاء (١٤٫٠٠٠) مليـون خلية عصبية وهو الاساس الجسمي للعمليات العقلية عند الانسان (التفكيـر او الذكاء والتذكر والخيال والانتبـاه) •

وثبت ايضا ان الخلايا العصابية التي يتألف منها المخ تتوزع بيـن ارجائه المختلفة على هيئة مجاميع او كتل تختلف فيما بينها في كمية الخلايـا العصبية الموجودة في كل منها وفي الوظائف السايكولوجية التي يختص بهـا كل منها • وان خلايا المخ العصبية مؤلفة من ثلاث طبقات بعضهـا واقعـة فوق بعض : ادناها او اسفلها تقع المناطق المخية الاولية • واوسطها تقـع المناطق المخية الثانوية • وفي قمتها تقع المناطق المخية الثلاثية التي هـي الاساس الدماغي او المخي لجميع العمليات العقلية عند الانسان • والمناطـق المخية الثلاثية هذه تنقسم بدورها قسـمين : من ناحية موقعها في المخ ومن ناحية وظائفها السايكولوجية • هذان القسمان هما :-

اولا : المناطق المخية الثلاثية الاماميه التي تقع في القسم الامامي الاعلى من المخ (فوق الجبهة) : ووظيفتها التعامل مع الامور المجردة الاتية من البيئة

المحيطة وتكوين انطباعات ذهنية (مخية) مجردة ايضا والتعبير عن هـــذه الانطباعات الذهنية المجردة تعبيرا مجردا عن طريق الرموز والمعـادلات الرياضية • وهي الاساس الجسمي (الدماغي : المخي) للقدرات العقليـة في الرياضيات والعلوم الطبيعية والاجتماعية النظريـة •

ثانيا : المناطق المخية الثلاثية الحسية التي تقع في ارجاء المخ الاخرى لاسيما القسم الخلفي الاعلى من المخ • ووظيفتها التعامل مع الاشياء الماديـة المحسوسة وتكوين انطباعات ذهنيـة حسية والتعبير عن هذه الانطباعات الذهنية الحسية تعبيرا حسيا ايضا عن طريق الرسم او النحت او ـ بالادوات التكنولوجية • وهي الاساس الجسمي (الدماغي : المخي) •• للقدرات العقلية في مجال الفن وفي التكنولوجيا والعلوم الطبيعيـة المختبريـة •

واثبتت علوم الدماغ الحديثة كذلك ان الاشخاص الاسوياء (الذيـــن لم تتعرض ادمغتهم لخلل نسبي قبل الولادة او بعدها) ينقسمون ـ علـى وجه العموم ـ (من ناحية كثافة الخلايا العصبية في كل من المنطقتين المخيتين الثلاثيتين المشار اليهما) الى ثلاث فئات هي :

اولا : فئة الاشخاص الذين يتغلب عندهم مجموع كمية الخلايا العصبيـة الموجودة في المناطق المخية الثلاثية الامامية على مجموع كمية الخلايـا العصبية الموجودة في المناطق المخية الثلاثية الحسية وهؤلاء الاشخاص

هم الذين يمتلكون الاساس الجسمي (الدماغي : المخي) للمواهب العقلية في مجال الرياضيات والعلوم الطبيعية والاجتماعية النظرية • وهم الذين بامكانهم ـ كما سنرى بعد قليل ـ ان يبتدعوا او يبتكروا نظريات جديدة اذا توافرت لهم الظروف البيئية الاجتماعية (لاسيما الثقافية) الملائمة اذا استثمر كل منهم رصيده المخي هذا الى حده الاقصى في الموضوع الذى يجنح نحوه منذ سن مبكرة بعد الالمامه الواسع العميق به عند النضج •

ثانيا : فئة الاشخاص الذين يتغلب عندهم مجموع الخلايا العصبية الموجودة في المناطق المخية الثلاثية الحسية على مجموع الخلايا العصبية الموجودة في المناطق المخية الثلاثية الامامية • وهؤلاء الاشخاص هم الذين يمتلكون الاساس الجسمي (الدماغي : المخي) للمواهب العقلية في مجال الفن والتكنولوجيا والعلوم المختبرية • وهم الذين بمستطاعهم ان يتوصلوا الى ابتكارات جديدة في الفن ـ او في احد الفنون كالرسم او النحت او الشعر وفي التكنولوجيا او العلوم المختبرية اذا هيأنا لهم الظروف الاجتماعية (لاسيما الثقافية) الملائمة واذا استثمر كل منهم امكانياته المخية الى حدها الاقصى في الموضوع الذى يميل اليه منذ سن مبكرة بعد ان يلم به الماما واسعا " وعميقا عند النضج •

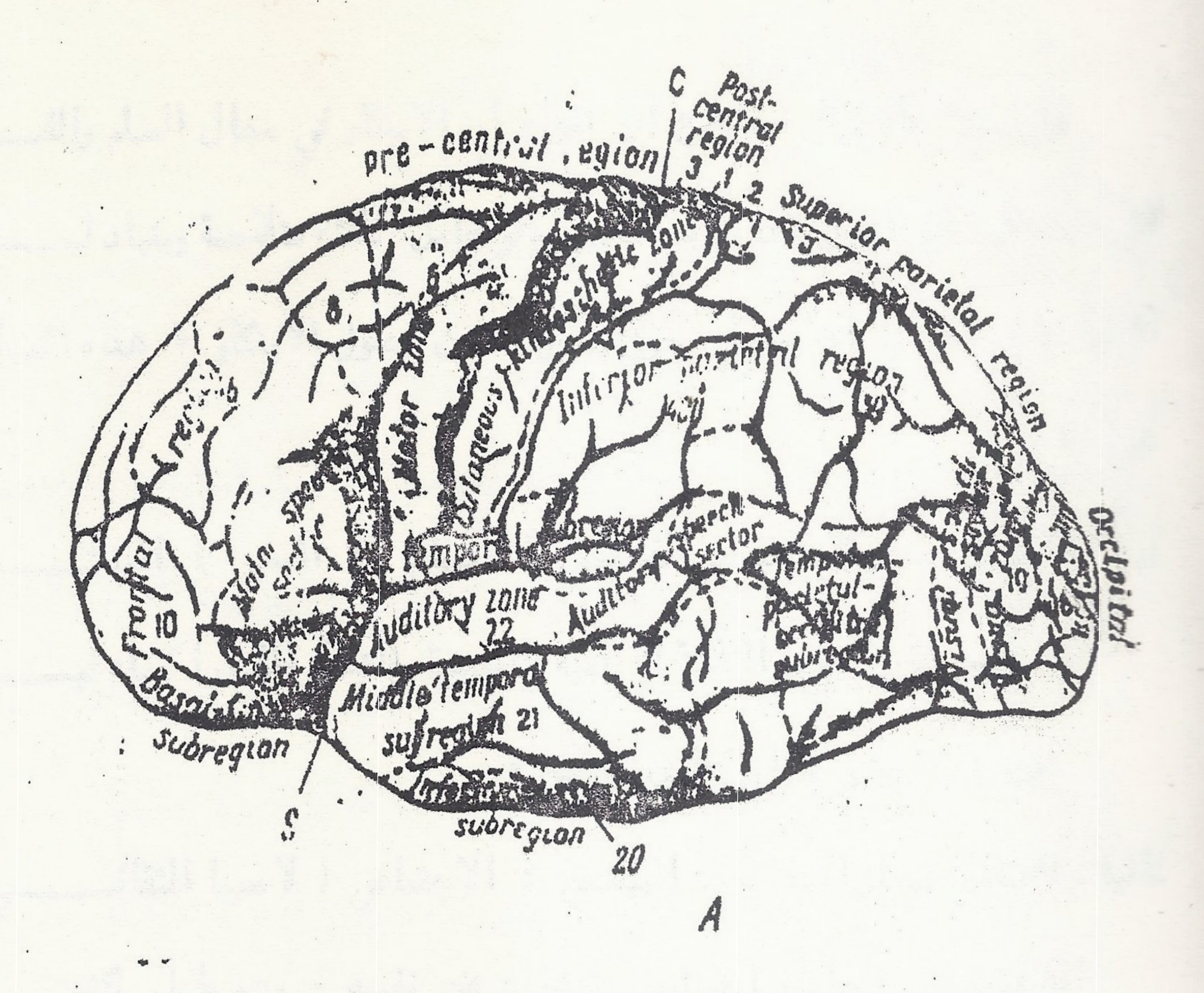
ثالثا : فئة الاشخاص الذين يتقارب عندهم مجموع الخلايا العصبية الموجودة في المناطق المخية الثلاثة الامامية مع مجموع الخلايا العصبية الموجودة في

المناطق المخية الثلاثية الحسية • وهم اغلبية الناس الذين يمتلكون الاساس الجسمي (الدماغي : المخي) للقدرات العقلية في مستواها المعتدل (دون مرتبة المواهب) في مجالات الرياضيات والعلوم الطبيعية والاجتماعية النظرية وفي مجال الفن والتكنولوجيا والعلوم المختبرية (دون مرتبة المواهب ايضا) • وبامكانهم ايضا ان يقوموا بابتكارات معتدلة دون مستوى المواهب اذا هيأنا لهم الظروف البيئية الاجتماعية (لاسيما الثقافية) الملائمة واذا استثمر كل منهم امكانياته المخية الى حدها الاقصى في مجال واحد او اكثر من المجالات النظرية والفنية يميل اليه منذ الطفولة المبكرة ثم يطلع عليها اطلاعا واسعا وعميقا عند النضج •

ـ ٢ ـ

ذلك هو الاساس الجسمي (الدماغي : المخي) للقدرات العقلية عند الانسان في جميع مستوياتها • ومعلوم ان الاساس الجسمي للقدرات العقلية هو غير القدرات العقلية التي تستمد محتواها او مضمونها من البيئة الاجتماعية لاسيما الثقافية • فلابد اذن لحصول العملية العقلية (في جميع مستوياتها الثلاث : مستوى المواهب النظرية ومستوى المواهب الفنية والتطبيقية ومستوى القدرات العقلية المعتدلة) من توافر بيئة اجتماعية (ثقافية) ملائمة • يضاف الى ذلك : لابد ايضا من توافر رغبة قوية تدفع المرء الى استثمار امكانياته الدماغية في هذا الموضوع او ذاك •





القسم الاعلى من المخ ـ المسمى : القشرة المخية ـ • وهذا القسم من المخ هو الاساس الجسمي لجميع العمليات العقلية : او القدرات العقلية • وتبدو فيه المناطق المخية الثلاثية الامامية والمناطق المخية الثلاثية الحسية • الامامية تقع في القسم الامامي منه على الجهة اليسرى • والحسية تقع في ارجائه الاخرى لاسيما القسم الخلفي الواقع على الجهة اليمنى •



وفي ضوء ماذكرنا نستطيع ان نقول ان الابتكار في مجال العلم والفن لكي يحصل على افضل وجه لابد له من توافر عوامل ثلاثة متلاحمة ومتبادلة الاتية وان فقدان اى منها يحول بدوره دون حصول الابتكار • هذه العوامل هي :

اولا : العامل – او الجانب – الفسلجي (الدماغي : المخي) المتمثل في المناطق المخية الثلاثة الامامية والحسية بالشكل الذى ذكرناه قبل قليل) • وهو عامل فطرى موروث •

ثانيا : العامل – او الجانب – البيئي : الاجتماعي (لاسيما الثقافي) الذى يسمح للعامل الفسلجي بالتعبير عن نفسه • وهو عامل مكتسب كما هو معروف • وبدونه يبقى العامل الفسلجي مطمورا او كامنا او معطلا عن العمل • ومن الجهة الثانية : فان العامل البيئي (الاجتماعي : لاسيما الثقافي) هذا لايؤدى من نفسه الى الابتكار عند فقدان العامل الفسلجي •

ثالثا : العامل – او الجانب السايكولوجي – الذاتي : الشخصي : الفردى الذى يدفع صاحبه الى استثمار اقصى حد من رصيده الدماغي (الفسلجي) من جهة واستثمار اقصى حد من الظروف البيئة الثقافية المؤثرة من جهة اخرى • ومن هذه الزاويه : فان عملية الاستثمار هذه (الجانب السايكولوجي) لاتؤدى من نفسها او في حد ذاتها لوحدها الى الابتكار او الابداع مالم تتوافر للشخص الامكانيات الفسلجية (الدماغية) والامكانيات البيئية



(الثقافية) الملائمة • ومن هذه الناحية ايضا : يمكننا ان نفسر طبيعة الابداع الفني والادبي الرائع عند بتهوفن وموزارت وشكسبير والجاحظ والمتنبي • كما يمكننا ايضا تفسير طبيعة الابداع العلمي الرائع لدى نيوتن وأينشتاين • وهذا هو الذى يفسر لنا ايضا استحالة حصول ابداع علمي لدى شكسبير او الجاحظ او المتنبي مهما توافرت الظروف البيئية الملائمة ومهما بذل كل منهم من جهود فكرية • وذلك لفقدان العامل الفسلجي : ويصدق الشيء نفسه على استحالة حصول ابداع شعرى او فني لدى نيوتن وابنشتين مهما توافرت الظروف البيئية الملائمة ومهما بذل كل منهما من جهود فكرية • وذلك لفقدان العامل الفسلجي •

— ٣ —

لابد من التنبيه هنا الى ان الابتكار او الابداع — الذى تحدثنا عنه في مجال العلم او الفن — يعني الاتيان بشيء جديد غير مألوف سابقا • او انه — بتعبير اخر — النظر الى اشياء مادية مألوفة في ضوء قرينة جديدة : اى •• تجريد او انتزاع الاشياء المألوفة من علاقاتها السابقة والنظر اليها في ضوء ارتباطات او علاقات جديدة غير مألوفة •

والابتكار والابداع يتضح عند الاطفال مثلا منذ سن مبكرة : في العابهم ورسومهم وفي استخدامهم الادوات المنزلية لتحقيق اغراض جديدة غير مألوفة لدى الكبار المحيطين بهم وفي تعليلاتهم لكثير من الظواهر

الطبيعية والاجتماعية • ويتضح الابداع او الابتكار لدى الكبار في منجزاتهم في موضوعات تخصصهم • وللابتكار درجات متعددة صاعدة المستوى يقع في قمتها ابتكار ذوى المواهب •

ولابد ايضا من التنبيه هنا الى ضرورة التميز بين المبتكرين والمبدعين من اصحاب المواهب وبين المتميزين او المتفوقين • وهذا يعني بعبارة اخرى - ان الشخص المتميز (او المتفوق : الحاذق : الماهر) هو الذى يعيد باتقان ما ابتكره غيره • ومع ذلك فان الحد الفاصل بين المبتكر والمتميز ليس حاسما او قاطعا وذلك لان الكثيرين من المتميزين او المهرة هم مبدعون في الوقت نفسه لكونهم يعيدون الشيء الى الاصل بشكل قد يفوقه في الروعة احيانا • فالكثيرون ممن يشتغلون في المتاحف الاثرية وبفن الريازة والمخطوطات كثيرا ما لايكون انتاجهم مجرد نسخ طبق الاصل او ((كليشة)) : لانهم يضفون على ما يريدون تجديده - او اعادته الى الاصل - شيئا جديدا من عندهم يدل على الابداع • وهذا واضح ايضا في مجال التعليم •

- ٤ -

لاشك في ان اصحاب المواهب في مختلف الاختصاصات هم طليعة اصحاب النظريات في العلوم والرياضيات والفن وفي جميع فروع المعرفة • وان منجزاتهم هي اساس الحضارة المادية والثقافية على حد سواء • ورعاية الموهوبين منذ سن مبكرة وفي جميع مراحل التعليم في الوقت الحاضر عمل تربوى كبير الاهمية وله

مردود مادي وثقافي بعيد المدى •

والرعاية المشار اليها هي - في جوهرها - نمط من انماط الاستثمار البشري الذي لابد منه ايضا لاستثمار الثروة المادية على افضل وجه ووفق احدث الاساليب العلمية النظرية والتكنولوجية • والاستثمار البشري هذا هو في حد ذاته شروق وطنية هائلة المقدار والتنوع تتجدد بصورة عديمة الانقطاع • بخلاف الثروة الطبيعية (المعدنية : الكامنة في باطن الارض) المحدودة المقدار • واذا كان بمستطاع الانسان ان يستنزف - في المستقبل غير البعيد - الثروة الطبيعية الكامنة في باطن الارض لتناقص كمياتها بمرور الزمن الطويل بفعل كثرة الاستهلاك فان استنزاف الثروة البشرية غير محتمل الوقوع وبخاصة في الاجيال المتتابعة التي لاحد لتعاقبها • واذا كانت الدراسات الجيولوجية المعاصرة تدل مثلا على ان النفط سوف يستنزف بعد اقل من نصف قرن وان القصدير سيزول عن الوجود بعد زهاء (٤٠) عاما • والنحاس بعد حوالي ربع قرن • والزنك بعد اقل من (٢٠) سنه فان البدائل التي ستحل محل هذه الثروة المعدنية المستهلكة سوف تكون من ابتكار اصحاب المواهب العلمية والتكنولوجية • وقد بدت بواكير ذلك في استخدام الطاقة النووية لاغراض الصناعة والزراعة والمواصلات • وهذا هو الذي حدا بالدول المتقدمة بصورة خاصة على اختلاف انظمتها السياسية والاقتصادية الى ان تولي رعاية الموهوبين بالغ اهتمامها وتوفر لهم جميع الامكانيات المادية والثقافية الممكنة

لاستثمار مواهبهم المتعددة والمتنوعة على افضل وجه والى اقصى حد وتوجيهها اجتماعيا سليما يعود عليهم وعلى المجتمع بالفائدة المادية والثقافية .

ورعاية الموهوبين تحصل باساليب متعددة منها فتح مراكز خاصة بالموهوبين في العلوم والفنون ومنها فتح مدارس خاصة بهم . ووضع مناهج دراسية خاصة بهم والاهتمام باعداد المعلمين اعدادا مهنيا وتربويا خاصا وكذلك وضع كتب مدرسية تتوافر فيها شروط ملائمة للموهوبين .

ـ ٥ ـ

من الملاحظ ان قدرات الطفل الابداعية تعبر عن نفسها ـ منذ سن مبكرة ـ باستخدامه الاشياء المادية المألوفة التي تقع في متناوله ـ كالادوات المنزلية مثلا ـ باشكال غير مألوفة بالنسبة للكبار المحيطين به لتحقيق اغراض هي الاخرى غير مألوفة بمقاييس الكبار المشرفين على تربيته . (وكثيرا ما يسبب ذلك صعوبات كثيرة وبخاصة اذا حصل ذلك الاستخدام في اوقات غير ملائمة بنظر الكبار) . فلابد ـ والحالة هذه ـ من تنظيم اوقات لعب الاطفال والسماح لهم بالتعبير عن قدراتهم الابداعية بدلا من صدهم والحيلولة دون تعبيرهم عن نشاطهم الجسمي والعقلي .

ينظر الاطفال ـ كما ذكرنا قبل قليل ـ الى الاشياء المادية المألوفة المتوافرة امامهم كما ينظرون ايضا الى علاقاتها ووظائفها نظرة تختلف عن نظرة الكبار . وقد تكون نظرة الصغار هذه مستهجنة او مزعجة بنظر الكبار

لعوامل كثيرة لانرى مسوغا للدخول في تفاصيلها . وهذا واضح ايضا
ـ كما بينا ـ في العاب الاطفال وفي رسومهم وقصصهم الخيالية وفي اسئلتهم
التي لاتكاد تقع تحت حصر وفي تعليلاتهم الساذجة للاسباب والنتائج
وللعلاقات بين الاشياء . فلابد والحالة هذه ـ من تشجيع مبادراتهم الفردية
واثرائها وتطويرها وتوجيهها بالاتجاه السليم .

اما تعليلات الاطفال للاحداث والعلاقات بين الاسباب والنتائج ـ وهي
غريبة وطريفة مما ينظر الكبار وسخيفة احيانا ـ فلا ينبغي الحيلولة دونها
اذا لم يكن هناك مانع اجتماعي وجيه يستلزم تعديلها وفق مستوى نضج
الطفل الثقافي المحدود . وعلى الكبار والمحيطين بالاطفال الابتعاد
كلما امكن ـ عن التزمت وان يراعوا دائما وابدا " وبكفاءة ولباقة مستوى
نضج الطفل الثقافي وان يتذكروا ايضا انهم انفسهم مروا بمرحلة مشابهة اثناء
طفولتهم . وينبغي ايضا ان لايغيب عن بالهم ان العامل السايكولوجي
العميق الذى يكمن وراء تعليلات الاطفال الطريفة التي اشرنا اليها هو
على مانعلم الفجوة الواسعة والعميقة بين مستوى معرفة الاطفال مايحيط
بهم وبين معرفة الكبار الامر الذى يضطر الاطفال الى الاستعانة بخيالهم
ليملئوا الفجوة الفكريه المشار اليها . والاطفال يجدون ايضا في اخيلتهم
هذه لذه سايكولوجية فلابد من فتح جميع المنافذ الاجتماعية التي تسمح
لتلك الاخيلة الساذجه بالتعبير عن نفسها مع توجيهها واثرائها .

لقد اخذ بالتعاظم الدور التربوى الايجابي الذى تؤديه القصص

الخيالية في تنميـــة ابداع الاطفال ـ وفي تربيتهم الخلقية ايضا (الخيالية ـ وفي صقل مشاعرهم وتوسيع مداركهم وثروتهم اللغوية • وما يصدق على القصص ـ الخيالية ـ في هذا الباب ـ يصدق ايضا على اللعب (الذى هو مـــن وجهة النظر الحديثة في التربية لايتناقض من العمل الجدى او انه نشاط عابـث كما كان يظن في السابق دون وجه حق •) • فقد دلت الدراسات السايكولوجيه المعاصرة الميدانية والنظرية كما دلت ايضا الملاحظات العابرة في مجرى الحيـاة اليومية المعتادة على ان الطفل يكون اكثر حيوية اثناء اللعب الذى يسمـــح للطفل بالتعبير عن خياله وقدراته الابداعيـــة •

وماينطبق على اللعب ـ من هذه الناحية ـ ينطبق ايضا على اسئلـة الاطفال وقصصهم الخيالية • فلابد من السماح للاسئلة ومساعدة الطفل علــى التوصل الى اجابات معقوله ومقبوله وتقديم البدائل او تعدد الاجابـــات لتنمية خيال الطفل • ويصدق الشيء نفسه على موقف الكبار ازاء قصـــص الاطفال الخيالية ذات الاثر الكبير في تنمية قدراتهم الابداعية •

ـ ٦ ـ

لاشك عندى في ان تنمية ابداعية الطفل لاتنسجم واسلوب التدريس الشائع المبني على التلقين والتكرار وعلى الحفظ الميكانيكي في جميع الـــدروس تقريبا وفي جميع مراحل الدراسة • كما ان كثيرا من المعلومات التي يتلقاهـــا الطالب لايتحول ـ بالنظر لجموده ولعقم اسلوب تدريسه ـ الى جزء من كيان الطالب الفكرى ومقوماته الثقافية كما يتحول الطعام الذى يتناوله الجسم الـــى



مايغذيه وينميه ويصبح بالتالي جزءا لايتجزأ منه . بل تبقى تلك المعلومات طافية على سطح الدماغ الذى لايلبث ان يجترها ليقذفها الى الخـــارج في وقت الامتحان كما يقذف موج البحر الى الساحل المواد الغريبة التي تطفو عليـــه .

ومن الجهة الثانية ان الحاح نظام التعليم السائد على ضرورة تفـــوق الطالب في جميع الدروس من الرسم حتى الرياضيات هو بنظرنا ضـــرب من ضروب التعجيز ولا مســوغ له من الناحيتين التربوية والسايكولوجية . والطالب الذى يحاول ان يتفوق في جميع الدروس انما يفعل ذلك على حساب موضوع تفوقــه الاصلي . كما ان موازنة مستويات الطلاب ببعضهم من ناحية منجزاتهم التعليمية ليست هي بنظرنا من صميم عمل المعلم الذى يقتصر عمله علـــى تهيئـــة افضل الظروف امام جميع الطلاب ليستثمر كل منهم بطريقته الخاصـــة امكانياته المخبئة الى حدها وعلى افضل وجه في الموضوع الذى يجنح نحـــوه مع التشجيع والحث والتوجيـــه .

اننا نطمح ان يكون قريبا ذلك اليوم الذى يتحول الصف فيه الى مختبـــر يحضر اليه الطلاب للاكتشاف وتبادل الرأى والاستقصاء لا الى التلقي السلبي . كما نطمح ايضا ان نرى المعرفة المدرسية يتلقاها الطلاب على هيئة مشـــكلات تستدعي الحل شريطة ان لا تكون بالعويصة التي تخيفهم ولا بالسهلة التـــي لاتستثير التفكير . بل تكون صعبة وسهلة في آن واحد (بالنسبة للتلاميذ) صعبة بحيث تتحدى التفكير وسهلة بحيث يجد الطالب في خبرته السابقـــة

مايعينـــه على التوصل الى حلها • وتوصي ـ في هذه المناسبة ـ ان يتركز اهتمام المعلم عند تصحيح الاجابات في الامتحان لا في النتائج وحدهـــا وانما ايضا في اسلوب التوصل اليها • ولابد من التمييز ايضا بين انواع الاخطاء التي يرتكبها التلاميذ في حياتهم المدرسية : فبعض الاخطاء معقول ومقبـول ومتوقع • وبعض اخر بليد ومعوج • والفرق الرئيس بينهما هو ان النـوع الاول منهما : ينم عن فهم السؤال وينطوي ايضا على الاتجاه السليم نحو حلـه ولكن الطالب يخفق في التوصل الى الاجابة الصحيحة المطلوبة لخطأ عـارض يرتكبه اثناء الحل بامكانه تجنبه اذا توخى الدقه في المستقبل • في حيــن ان الاجابــة المغلوطــة البليدة تسير باتجاه معاكس وتستلزم بذل مزيـــد من الجهد الفكري في المستقبل • ومايصدق على الاجابات المغلوطـــة ـ المقبولة والممجوجة ـ ينطبق ايضا على الاجابات الصحيحة • فبعض الحلول الصحيحة رتيب ومألوف • وبعض اخر ينطوي على الابداع • وهذا هو الذي ينبغي تشجيعه والاشادة بصاحبه وحث الاخرين على الاتيان بمثله •

وناحية تربوية اخرى مهمة لابد من مراعاتهـــا : وهي ان يحتــرم المعلم التلميذ ويجسد النواحي الايجابية في شخصيته ويشيد بها على مرآى ومسمع من زملائـه في الصف • وان يقف من نواحي ضعفه بكياسته ولباقـة للتخلص منها • ومن هذه الزاوية فان الدرجات الامتحانية مثلا ينبغي ان ـ يتمتع بها الطالب باعتبارها مكافأة على نقاط القوه عنده لا عقوبة (صارمة احيانا) ازاء مالايحسنه في تلك اللحظه وفي موضوع معين بالذات • وعلى المعلم دائمـا "

وابدا ان يبتعد ابتعادا تاما ومطلقا من جعل الطالب يشعر ـ بالتلميح او ـ التصريح انه طالب ردئ لكيلا يجرح كبرياءه ويصده عن بذل الجد الفكرى المطلوب ويفقده الثقة بالنفس وان يتصف المعلم برحابة الصدر والجلد ويحبب التلاميذ بروح المساعده وان يكون كالطبيب بالنسبة للمريض ٠

ونود ان نختتم هذه المحاضرة بملاحظات سديدة ابداها عتبه بن ابي سفيان لعبد الصمد مؤدب ((ليكن اول ماتبدأ به من اصلاحك بني اصلاحك نفسك : فأن اعينهم معقوده بعينك ٠ فالحسن عندهم مااستحسنت ، والقبيح عندهم مااستقبحت ٠ علمهم كتاب الله ولاتكرههم عليه فيملوه ٠ ولاتتركهم منه فيهجروه ٠٠٠ ثم روهم من الشعر أعفه ومن الحديث أشرفه ٠ ولاتخرجهم من علم الى غيره حتى يحكموه ٠ فأن ازدحام الكلام في السمع مظلة للفهم ٠ وعلمهم سير الحكماء واخلاق الانبياء ٠٠٠ وكن لهم كالطبيب الذى لايتعجل بالدواء حتى يعرف الداء ٠

ثالثا : المتخلفون عقليا :

اعتبر الانسان البدائي القديم ((التخلف العقلي)) بالتعبير الحديث نوعا من انواع ((الجنون)) ينتاب بعض الاشخاص بفعل تسرب ((الارواح ـ الشريره الى احساسهم عقابا لهم من الالهة لسوء تصرفاتهم وانكر الانسان البدائي قدرة المجنون على الشعور بالالم الجسدى وظن ان هذه الارواح ـ الشريرة يمكن طردها من جسمه عن طريق الكي بالنار ٠ وقد استمرت هذه



الحالة فترة طويلة من الزمن • الى ان بدأ التفكير العلمي في عهد اليونان الاقدمين منذ عهد بقراط الذى اعتبر الجنون ناجما عن تخريب يحصل في الدماغ • وهذا حذوه جالينوس طبيب الامبراطورية الرومانية • لكن سقوط هذه الامبراطورية في بداية القرن السادس الميلادى بفعل غزوات القبائل البربرية المجاورة ادى الى تدهور العلم وبخاصة في مجال الطب وانتشار الخرافات وعندما رفعت الثورة الفرنسية في عام ١٧٨٩ شعار الحرية والاخاء والمساواة كان لتلك الشعارات صدى ايجابي في حقل الطب ايضا وفي مجال التخلف العقلي بصورة خاصة حيث بدأت بواكير علم التخلف العقلي ( ) بالظهور وشملت ((المجانين)) وذلك بجهود وزير الصحة الفرنسي باينل (١٧٤٥ـ ١٨٢٦) • وكانت احدى ثمرات تلك الجهود ان عومل ((المجانين)) معاملة انسانية تتصف بالرأفة ونقلوا الى المستشفيات بدل السجون • واشرف عليهم الاطباء والممرضات بدل السجانين والحراس القساة •

وقد ادى ذلك كله ـ من بين امور كثيرة اخرى ـ الى حصول تقارب وثيق بين علم الامراض العقلية وبين علم الفسلجة وبخاصة فسلجة الدماغ•

ثم حصل ـ بعد ذلك وعلى اساسه ـ تقارب بين علم الامراض العقلية وبين علم النفس وبينها وبين التربية ايضا • وبدأ الاهتمام بفتح مؤسسات تعليميةخاصة بالاطفال المتخلفين عقليا تدربهم على العناية بانفسهم



وتعلم بعض الحرف البسيطة وقد انتشرت المدارس الخاصة بالمتخلفين عقليا " انتشارا كبيرا في كثير من انحاء العالم منذ اواسط القرن التاسع عشر بصورة خاصة ٠

رابعا : المعوقون : فاقدو البصر او السمع

ـ ١ ـ

يتمتع الشخص السوى باعضاء حسه الخمسه المعروفة : البصر والسمع واللمس والذوق والشم ٠ واعضاء الحس هي الادوات الفسلجية الاساسية الوحيدة التي تربط الانسان بالبيئة المحيطة : الطبيعية والاجتماعية وتنقل اليه الانطباعات عن الاشياء المحيطة وتجعله يتعرف عليها ويتخذ ازاءها المواقف الملائمة : السلبية والايجابية ضمانا لاستمرار حياته وتطورها ٠ ولولا الحواس لاستحال على الانسان ان يحتفظ بوجوده المادى ـ من حيث هو جسم حي ـ وبوجوده الاجتماعي الثقافي ايضا ٠

وقد اثبتت علوم الطب الحديثة ان كل عضو من اعضاء الحس الخمسة المشار اليها موءلف من ثلاثة اجزاء متلاحمة مترابطة توءدى عملا مشتركا واحدا رغم تخصص كل منها ٠ هذه الاجزاء الثلاثة هي ابتداءا من سطح الجسم الى داخله :

اولا : جهاز الاستقبال : وهو موءلف من نهايات الاعصاب الحسيه الكثيرة



التي تنتشر حول جهاز البصر او السمع او الشم او الذوق وفي اطراف الاصابع • هذه النهايات الحسية تلامس العالم الخارجي وتتلقى منه الانطباعات الحسية البصرية والسمعية •• الخ وتنقلها عبر الاعصاب الحسية البصرية والسمعية •• الخ وهي القسم الثاني الذى سيأتي ذ•• ذكره بعد قليل •

ثانيا : الاعصاب الحسية البصرية والسمعية والشمية والذوقية واللمسيه التي تتلقى الانطباعات الحسية المشار اليها وينقلها كل منها بدوره الى القسم الثالث •

ثالثا : الذى هو المراكز المخيه الحسية البصرية والسمعية ••• الخ وهنا تحصل عملية الادراك الحسي البصرى والسمعي •••• الخ •

ـ ٢ ـ

تلعب حاسة البصر الدور الاول والاهم في حياة الانسان • وتأتي بعدها حاسة السمع • اما حاستا الذوق والشم فاهميتهما ثانوية الا عند فقدان حاستي البصر والسمع • وتزداد اهميته حاسة اللمس وحاسة الشم عند فاقدى البصر •

يقدر العلماء المختصون بدراسة حاسة البصر واهميتها في حياة الانسان ان زهاء اربعة اخماس انطباعاته الذهنية عن البيئة المحيطة الطبيعية والاجتماعية تنقلها حاسة البصر • ولهذا فان فقدان هذه الحاسة ـ وبخاصة



منذ مرحلة الطفولة الاولى يحرم الشخص من التعرف البصرى على البيئة ويجعله يستخدم الى حد اقصى حواسه الاخرى لاسيما السمع واللمس كما يحرمه ايضا فقدان حاسة البصر من تعلم القراءة والكتابة بالطريقة المعتادة .

جرت محاولات عديدة ناجحة ـ منذ القرن الماضي ـ لنقل وظيفة العين الى حاسة اللمس (اطراف الاصابع) لدى فاقدى البصر حيث تتم عليه تعرفهم البصرى على البيئه عن طريق قراءة حروف بارزة باطراف الاصابع . وتعلم الكتابة ايضا باطراف الاصابع باستخدام الحروف البارزة التي ابتدعها الشاب الفرنسي الاعمى بوايل وسميت باسمه منذ القرن الماضي .

كما ان بعض المختصين استطاعوا قبل بضع سنوات ان يجعلوا الاعمى ((يرى)) الاشياء باذنه : اى انهم نقلوا وظيفة العين الى الاذن وذلك بجعل الاعمى يهتدى الى طريقه اثناء المشي في الشوارع والازقة بالاستدلال بالاصوات عن طريق جهاز خاص يسمى ((العين الالكترونية)) وهي علبة صغيرة يحملها الاعمى في يده بعد ان يتدرب على كيفية استعمالها وحل رموزها المعقدة الضوئية التي تحول كمية من الامواج الالكترونية البصرية عن طريق الصدى الى امواج حسية سمعية تعبر مقدما عن العوائق التي تعترض سبيله اثناء السير مثل الاعمده الكهربائية والجدران البارزة والمارة ومايجرى مجراها ليتجنب الاصطدام بها قبل وصوله لها .



ـ ٢ ـ

ذلك مايتصل بحاسة البصر واهميتها في حياة الانسان من ناحية تعرفنا على البيئة الطبيعية والاجتماعية • اما حاسة السمع فهي الاخرى ذات اهمية كبيرة في هذا الباب • وتبلغ اهميتها حدا كبيرا حتى ان بعض المختصين يعتبرها اهم من حاسة البصر في كثير من الوجوه وبخاصة لكونها تلعب الدور الاول والاهم في تعلم اللغه المتحدث بها والمكتوبة البالغة الاهمية في حياة الانسان • وقد ثبت ان الشخص الذى يولد اصم او الذى يصاب بالصمم في مرحلة طفولته الاولى يصبح ابكم لانه لايسمع الكلمات من الاخرين فلا يتعلم اللغه • وفي هذه الحالة يضطر على استخدام حواسه الاخرى كالبصر (اذا لم يكن اعمى) واللمس والشم • وفي التاريخ الحديث امثلة كثيرة وطريفة على شخصيات فقدت بصرها وسمعها ونطقها منذ مرحلة الطفولة المبكرة وتعلمت عن طريق استخدام حواسها الباقية لاسيما اللمس والشم • من ذلك مثلا هلين كيلر (١٨٨٠ ـ ١٩٦٨) الامرأة الامريكية العمياء الصماء البكماء التي واصلت دراستها في المدرسة الابتدائية والثانوية والجامعية باستخدام حروف بريل في الكتابة والقراءة وبالاعتماد ايضا على حاسة اللمس والشم في التعرف على البيئة • وتروى عنها قصص طريفة في هذا الباب وهي كثيرة :

ولدت هيلين كيلر بشكل طبيعي كسائر الاطفال ولكنها اصيبت بالحمى في منتصف السنة الثانية من عمرها وفقدت بصرها وسمعها ونطقها بعد شفائها وتعرفت عن طريق اللمس والشم على البيئه التي تعيش فيها كما تعلمت في

المدرسة واتمت دراستها الجامعية في موضوع الاقتصاد • وهذه طائفة من القصص الطريفة التي روتها هي عن نفسها : فقد ذكرت : انها كانت ((تتكلم)) مع الاخرين باصابعها " وتصغي الى كلامهم بأصابعها ايضا • وعن طريق اللمس والشم تعلمت مهن الاشخاص وانواع الحيوانات وانواع الطعام والتمييز بين الاحياء الفقيرة والاحياء السكنية الراقية • ومايجري هذا المجرى •

فاستطاعت هيلين كيلر مثلا وهي في القطار ان تتعرف على مطبعة بعيدة عن القطار وعلى معمل للبيرة وذلك عن طريق شم رائحة الحبر والورق في الحالة الاولى وشم رائحة البيرة في الحالة الثانية • واستطاعت ايضا ان تعرف مهن بعض الشخصيات التي صافحتها وذلك عن طريق اللمس فميزت بين العمال اصحاب الاكف الغليظة وبين المترفين من ذوي الاكف الناعمة •

وتعرفت على انواع الحيوانات عن طريق لمس قضبان اقفاصها في حديقة الحيوانات • وتمكنت من معرفة المطاعم الراقية عن طريق شم روائح الاكل وشم العطر الذي يفوح من ملابس الزبائن • وتعرفت على مهنة احد ركاب السيارات العامة فقالت انه صباغ جدران من شم رائحة الدهان في ملابسه •

ومن طريف مايروى عنها انها عندما سئلت كيف استطعت التمييز بين الليل والنهار ؟ اجابت : عن طريق الشم لان الهواء اثناء الليل اخف ولكون الروائح التي تملؤه اقل منه نهارا ولكون حركة الهواء فيه اضعف • وعندما سئلت كيف تمكنت من التمييز بين الالوان ؟ قالت عن طريق اللمس

والشم . فاللون الاحمر دافيء . واللون الاخضر كالنبته النامية . واللـــون الاصفر يبعث البهجة في النفس .

وقد حصل شيء مشابه للامرأة السوفيتية سكورد خادوفا التي فقـــدت سمعها وبصرها ونطقها قبل بلوغها السنة الخامسة من عمرها في اعقاب اصابتهـا بمرض حاد . ومع ذلك فقد واصلت تعليمها العالي وحصلت على الشهـادة الجامعية ومازالت حتى عام ١٩٨٣ ـ على مانعلم ـ تواصل النشر فـــي المجلات وتلقي المحاضرات العامة .

ـ ٣ ـ

تتضح اذن اهمية الحواس في حياة الانسان . كما تتضح بصـــــورة خاصة اهمية حاستي البصر والسمع ومايؤديه فقدهما من نقص كبير في معرفـة الانسان الامر الذى يجعل الاعمى والاصم والابكم على وجه الخصـــــوص يستعمل بصورة اساسية حاستي اللمس والشـم .

اما اى الحواس اهم في حياة الانســان وفي تعرفـه على البيئـــه وسيطرته عليها لضمان استمرار حياته البايولوجية والاجتماعية وتطورها فقـــد اختلفت فيه اراء المختصين : فبعضهـم يرى ان حاسـة البصر هي اهـم حواس الانسان في هذا الباب . وبعض اخر يعتبر حاسة السمع هي الاهم وبخاصة فيما يتعلق بتعلم اللغة المتحدث بها والمكتوبة بالنظر لاهمية اللغـة في حياة الانسان . ويذهب فريق ثالث من العلماء الى تفضيل حاسـة اللمـس بالنظر لارتباطها باليد ذات المنزلة المهمه في مغالبة الطبيعة وفي ابتـداع



(وصنع وتطوير واستخدام) الادوات التكنولوجيـــة •

غير ان جميع المختصين ــ دون استثناء ــ يعتبرون حاسة الـــذوق ثانوية الاهمية في حياة الانسان المعاصر ويجوز انها كانت ذات اهمية كبيــرة للانسان في الماضي السحيق •

ومع ذلك فان الموازنة بين الحواس على مانرى ليست وجيهه لان •• الانسان السوى يحتاج اليها جميعا بدرجات متفاوته وكلا في مجال تخصصه وان قيام بعضها مقام بعض اخر في الحالات الاضطراريــة وان يكن مفيدا مـن الناحية العملية الا انه غير واف بالمرام لان لكـل منها خصائصه التشريحيه ووظائفه الفسلجية الخاصة به • فلا يستطيع البصر ان يسد مسد الســمع ابدا او ان يمارس وظيفته على الوجه الاتم وان كان باستطاعته التعويــض عنه عند الضرورة تعويضا جزئيا كما رأينا قبل قليل •

يتضح اذن ان الطفل السوى يحتاج الى اعضاء حسه الخمسة السليمــة من الناحية التشريحية والفسلجية ويحتاج بالطبع الى دماغ سليم وجسم ســليم وجهاز حسن بشكل طبيعي وليتعرف على البيئة ويتعلم في المدرسة ايضــا بالشكل المعتاد • وان اى خلل تشريحي او فسلجي ينتاب اعضاء الحــس لاسيما البصر والسمع او يعترى الدماغ لاسيما المخ يجعل نمو الطفل شــاذا او منحرفا • وهذا يحصل احيانا ليس فقط عند فقدان السمع او البصر ولكــن ايضا عند تعرض اى منها او كليهما لخلل بسيط مثل ضعف البصر او ضعــف السمع سواء ضعف بنيــة الجسم لان هذا يؤدى بدوره على مانــرى الى التخلف الدراسي الذى سنتحدث عنه بعد قليل •

خامسا : المتخلفون دراسيا وبطيئو التعلم

— ١ —

يبدو ان كثيرا من المعنيين بشؤون التربية وعلم النفس في الدول النامية بصورة خاصة ــ يستخدمون مصطلح ((التخلف العقلي)) استخداما فضفاضا (غير دقيق) ليشمل فئآت متعددة ومختلفة من التلاميذ في مرحلة الدراسة الابتدائية بصورة خاصة بمن فيهم ((الكسالى)) وبطيئو التعلم والمتأخرون دراسيا بالنسبة لاقرانهم في الصف ٠ بالاضافة بالطبع الى الاطفال ((المتخلفين)) عقليا بفعل خلل فسلجي ينتاب الدماغ لاسيما المخ الذى هو عضو الحياة العقلية والانفعالية والاساس الجسمي للسلوك بصورة عامة ٠

مما لاشك فيه ان الخلط بين ظاهرة ((التخلف العقلي)) بالمعنى العلمي الذى اشرنا اليه (حدوث خلل فسلجي او تشريحي في الدماغ) وبين ظاهرة ((التخلف الدراسي)) (مع سلامة الدماغ كما سنرى بعد قليل) ، كثيرا مايؤدى الى التضحية بكثير من الاطفال الاسوياء ويجعل منهم عالة على المجتمع ويحرفهم عن مواصلة دراستهم ونموهم الثقافي الطبيعي ٠ وتفاديا للاضرار الاجتماعية (التربوية والسايكولوجية) الناجمة عن الخلط المشار اليه لابد من التميز تميزا دقيقا وعلى اسس طبية سليمة بين فئة الاطفال ((المتخلفين عقليا)) من ناحية الخلل التشريحي والفسلجي في ادمغتهم من جهة وبين الفئآت الاخرى من التلاميذ (الاسوياء في تركيبهم الدماغي) ولكنهم



متخلفون عن اقرانهم في الصف في دراستهم لعوامل اجتماعية رديئة او لضعف في البصر او السمع او في الصحة العامة او لاضطرابات انفعالية لكي تتخذ الاجراءات التعليمية الايجابية الفعالة التي تلائم كل فئة من تلك الفئات ولتجنب الاضرار التربوية الناجمة عن ذلك الخلط وللحيلولة دون هدر كثير من الكفاءات الموجودة لدى كثير من الاطفال مما يحول في نهاية المطاف دون تكوين المواطن الصالح على الوجه المطلوب وهو ما تحتاج اليه في الوقت الحاضر في المجتمعات النامية بصورة خاصة ٠

ـ ٢ ـ

اثبتت الدراسات النظرية والميدانية ان كثيرا من التلاميذ المتخلفين في دراستهم بالقياس باقرانهم في الصف في مرحلة الدراسة الابتدائية بصورة خاصة ـ هم ضحايا ضعف السمع او البصر او النطق او سوء التغذية او حالات انفعالية حادة عنيفة ناجمة في الاصل عن ظروف اجتماعية سيئة او معاملة قاسية في المنزل او المدرسة او فيهما معا او بفعل التناحر بين افراد الاسرة لاسيما الابوين لعوامل كثيرة معروفة لاعلاقة لها من قريب او بعيد بقدراتهم العقلية وامكانياتهم على التعلم واجتياز المصاعب الدراسية ٠

كما اثبتت تلك الدراسات ايضا وبخاصة المتعلقة بانماط الجهاز العصبي المركزي ان بعض التلاميذ ابطأ من بعض أخر في التعلم لعوامل فسلجية

خاصة تتعلق بنمط جهازهم العصبي المركزي • وهذا كله يستلزم ان يتصرف المشرفون على تربية الاطفال في المنزل والمدرسة بالمروءة والكياسة واللباقة والحنان اثناء تعليمهم الاطفال في الصف الاول الابتدائي بصورة خاصة وفي درس القراءة والحساب بصورة اخص • وان يبتعدوا عن القسوة واستخدام الكلمات الجارحة او النابية وان يستبدلوا بها عبارات التشجيع وبعث الثقة بالنفس وبخاصة لدى التلاميذ المتخلفين في الصف نفسه او في صفوف التربية الخاصة عندنا في بعض المدارس •

هناك ايضا اجراءات تربوية ايجابية لابد من مراعاتها : منها مثلا : حدوث تعادل او توازن بين الواجبات المدرسية الملقاة على عاتق الطفل المتخلف دراسيا وبين قدرته الفسلجية على التحمل • وان تراعى دائما وابدا اوقات الراحة واللعب والنوم والتغذية والرعاية الطبية • وقد ثبت ان تحميل التلميذ المتخلف دراسيا اكثر من طاقته الفسلجية يجعل انتاجه الدراسي اللاحق اكثر رداءة وقد يؤدي احيانا الى عزوفه عن الدراسة والى فقدانه الثقة بالنفس • كل ذلك يستلزم بنظرنا ان يلم المشرفون على تربية الاطفال بخصائص الجهاز العصبي المركزي في مرحلة الطفولة بصورة خاصة وان يلموا ايضا بطبيعة الانفعالات او المشاعر السلبية والايجابية وآثارها في السلوك وفي تنشيط الجسم او خموله وتثاقله • وان يتذكروا دائما وابدا ان المعاملة الحسنة اجدى من المعاملة القاسية في جميع حالات التعليم وبخاصة بالنسبة للاطفال المتخلفين عن اقرانهم في الدراسة او بطيئي التعلم



والمصابين باضطرابات انفعالية • والمعلم المنصف ذو الخبرة الغزيرة يدرك جيدا مدى الحيف او الغبن السايكلوجي الذى يشعر به التلميذ بان الاشخاص المحيطين به (المعلم : التلاميذ / افراد الاسرة) يحتقرون كفاءته الدراسية • كل ذلك قد يؤدى الى اضطرابات سلوكية بفعل مشاعر سلبية حادة وبخاصة لدى اصحاب نمط الجهاز العصبي المركزى الضعيف ونمط الجهاز العصبي المركزى الطائش او المترفع •

فلابد للمعلم من تبديل مشاعر الطفل السلبية ازاء نفسه وازاء الاخرين بمشاعر ايجابية تدفعه على الدراسه والتفاؤل والثقة بالنفس •

اما الاطفال المتخلفون في دراستهم بسبب نقص في البصر او السمع فلابد من تجهيزهم بالمعينات البصرية والسمعيه • ولابد ايضا من جعل اماكن جلوسهم قريبة من السبورة والمعلم وان يحيطهم المعلم دائما بالرعاية والحنان ويحث زملاءهم في الصف على احترام مشاعرهم والتعاون معهم في الدراسة وبخاصة في درس القراءة والحساب منذ الصف الاول الابتدائي ويوصي اسرتهم بمراعاة ذلك •

سادسا : ملاحظات ختامية

لقد اوضحنا — في هذه المحاضرات الموجزه — معنى مصطلح ((علم نفس الخواص)) . وبينا الفئآت المتعددة من التلاميذ الذين يشملهم ميدان ((علم النفس الخواص)) او ((علم نفس غير الاعتياديين)) وبينا ايضا الرعاية التربوية الخاصة بكل فئة من هذه الفئآت : . فئة الموهوبين والمتميزين و ((فئة المتخلفين عقليا)) و ((فئة المعوقين : فاقدي البصر والسمع وفاقدي البصر والسمع والنطق)) و ((فئة المتخلفين في الدراسة وبطيئي التعلم)) .

وتحدثنا عن الخصائص الفسلجية والسايكولوجية لكل فئة من تلك الفئآت واكدنا على ضرورة اخذها بعين الاعتبار في الاسرة والمدرسة عند التعامل مع اصحابها . كما اكدنا على دور المعلم في هذا الباب وضرورة اعداده اعدادا مهنيا وعلميا سليما ليؤدي واجباته التعليمية على افضل وجه .

ذلك لان المعلم — في الواقع — هو حجر الزاوية في عملية التعليم لكونه العنصر الحي ولكون جميع الادارات التعليمية والادوات والاجهزة والكتب هي وسائل توضع تحت تصرفه للاستعانة بها في عمله الشاق المضني الذي يستحق التقدير دون شك .

وبينا ان التلميذ هو مادة التربية وهدفها في آن واحد . وان — المجتمع يحتاج الى تنمية جميع اطفاله — كل حسب امكانياته — ليؤدي واجبه



ازاء نفسه وازاء المجتمع كل من موقعه بعد ان نزوده بالمعرفة التي تتلاءم مع قدراته العقليـــة ٠

ونود ان نختتم محاضرتنا الموجزه هذه عن علم نفس الخواص بالـــدور الذى يضطلع به المعلم او المؤدب في المجتمع العربي الاسلامي القديـــم ونبين ايضا منزلته الاجتماعية المرموقـة بنظر الخلفاء ٠ وفي التراث امثلـــة كثيرة تتعذر الاحاطه بها نذكر منها على سليل التمثيل لا على سبيل الحصر مايلـــي :ــ

اولا : اوصى هرون الرشيد علي بن الحسن مؤدب ولده الامين بقوله : ((ان امير المؤمنين دفع اليك مهجة نفسه وثمرة قلبه ٠ فصير يدك عليه مبسوطـــة وطاعته لك واجبة ٠ فكن حيث وضعك امير المؤمنين ٠٠٠ اقرئه القـــــرآن وعرفه الاخبار ورّوه الاشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئـه ٠ وامنعـه من الضحك الا في اوقاتـه ٠ وخذه في تعظيم بني هاشم اذا دخلوا عليـه ٠ ورفع مجالس القواد اذا حضروا مجلسه ٠ ولا تمرن بـك ساعة الا وانـــت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير ان تحزنـه فتميت ذهنـه ٠ ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفـه ٠ وقومـــه مااستطعت بالقرب والملاينة فان اباهما فعليك بالشدة والغلظـــة)) ٠

ثانيا : واوصى عتبة بن ابي سفيان عبد الصمد مؤدب ولده بقوله : ((ليكن اول ماتبدأ به من اصلاحك بنـي اصلاحك نفسك ٠ فأن اعينهم معقودة ــ بعينك : فالحســن عندهم مااستحسنت ٠ والقبيح عندهم مااستقبحـت



علمهم كتاب الله ولاتكرههم عليه فيملوه • ولا تتركهم منه فيهجروه •••• ثم روحهم من الشعر اعفه ومن الحديث اشرفه •••• ولاتخرجهم من علم الى علم غيره حتى يحكموه ••• فان ازدحام الكلام في السمع مظلة للفهم • وعلمهم سير الحكماء واخلاق الانبياء •••• وكن لهم كالطبيب الذى لايتعجل بالدواء حتى يعرف الداء)) •

ثالثا : قال محمد اليزيدى : ((كنت اودب المأمون وهو في حجر سعيد الجوهرى • فأتيته يوما وهو داخل • فوجهت اليه بعض غلمانه • فأبطأ • ثم وجهت اليه آخر • فأبطأ • فقلت لسعيد الجوهرى : ان هذا الفتى ربما تأخر وتسأل بالبطالة • فقال : قومه بالادب • فلما خرج المأمون امرت بحجله وضربته تسع درر • فبينما هو بذلك عينيه من البكاء اقبل الوزير فاستأذن على المأمون • فأخذ المأمون منديلا فمسح عينيه وجمع ثيابه وقام الى فراشه وقعد متربصا ثم قال : ليدخل الوزير تدخل • وقمت انا من المجلس • وخفت ان يشكوني الى الوزير فألقى منه مكروه • فلما خرج الوزير طلبني المأمون وقال خذني بقية يومي هذا • قلت : ايها الامير : لقد خفت ان تشكوني الى الوزير والوقت ذلك لتنكر لي • فقال المأمون : ان لله ((أتراني ـ يا ابا محمد ـ اطلع الرشيد في هذه ؟ فكيف الوزير ((



اطلعه على اني احتاج الى ادب • يغفر الله لك • خذ في امرك فلقد خطر ببالك مالا تراه ابدا " ولو عدت في كل مرة)) •

رابعا : وقبل ان ابا مريم ـ مؤدب الامين ـ ضرب الامين يوما فخدش ـ ذراعه ـ وعندما حان وقت الطعام تعمد الامين ان يحسر عن ذراعه • فرآه الرشيد • فسأله عنه • فقال : ضربني ابو مريم • فبعث الرشيد اليه ودعاه • فقال ابو مريم : فخفت • فلما حضرت قال الرشيد : ياغلام وضئه • فسكنت وجلست آمل • فقال الرشيد : مابال محمد يشكوك .((قال ابو مريم : لقد غلبني خبثا " وعراكة • فقال الرشيد : اقتله • فلان يموت خير من ان يموق ((•

خامسا : ذكر احمد بن ناصح مؤدب المعتز : ان المتوكل لما اراد ان يعقد ولاية العهد للمعتز حططته عن مرتبته قليلا • واخرت غداءه عن موعده • فلما كان وقت الانصراف قلت للخادم احمله فضربته من غير ذنب • فشكى ذلك الى المتوكل • فأنا في الطريق منصرفا " اذ لحقني صاحب رساله فقال : امير المؤمنين يدعوك • فدخلت على المتوكل وهو جالس على كرسي والغضب بيين في وجهه والفتح بن خاقان بين يديه متكئا على السيف • فقال : ماهذا الذى فعلته ياأبا عبدالله ؟ فقلت : اقول ياامير المؤمنين ((فقال انما سألتك لتقول



قلت بلغني ماعزم عليه امير المؤمنين ـ اطال الله بقاءه ـ فدعوت ولي عهده وحططت منزلته ليعرف هذا المقدار فلا يعجل زوال نعمة احد • واخرت غداءه ليعرف هذا المقدار من الجوع فاذا اشتكى اليه من الجوع عرف ذلك • وضربته من غير ذنب ليعرف مقدار الظلم فلا يعجل على احد • فأستحسن المتوكل ذلك واجازني •

سادسا : عندما ادخل علي بن الحسن مؤدب الامين الى الدار وفرش له البيت الذى هو فيه بفرش حسن استغرب من ذلك غاية الاستغراب • وكان الخلفاء اذا ادخلوا مؤدبا الى اولادهم فجلس اول يوم امروا ـ بعد قيامه ـ بحمل كل ما في المجلس الى منزله مع مايحصل اليه ويوهب له • فلما اراد علي بن الحسن الانصراف الى منزله دعي له بحمالين فحمل ذلك كله معه فقال : والله مايسع بيتي هذا • ومالنا الا غرفة ضيقة في بعض الخانات • ليس فيها من تحفظه غيرى وانما يصلح مثل هذا لمن له دار واهل • فأمر بشراء دار له وجارية • وحمل على دابته ووهب له غلام •

سابعا : اشرف الرشيد على الكسائي مؤدب الامين والمأمون وهو لا يراه • فقام الكسائي ليلبس نعله ، لحاجة يريدها • فابتدرها الامين والمأمون فوضعاها بين يديه • فقبل رؤسهما وايديهما • ثم اقسم



الا بحاردا • فلما جلس الرشيد مجلسه يوما : قال لجلسائه وفيهم الكسائي : أى الناس أعز خدما ؟ قال الكسائي : امير المؤمنين أعزه الله • قال الرشيد : بل الكسائي يخدمه الامين والمأمون •

ثامنا : ذكر الرواة عن ابي الفتح احمد بن علي بن هرون المنجم انه قال ((حدثني ابي • قال : كنت ـ وانا صبي ـ لااقيم الراء في كلامي واجعلها غينا " • وكانت سني انذاك اربع سنين : اقل او اكثر • فدخل ابو طالب الفضل بن سلمه او ابو بكر الدمشقي الى ابي وانا بحضنه • فتكلمت بشيء فيه رآه • فلثغت فيها فقال الرجل لابي : لم تدع هذا الصبي يتكلم هكذا ؟ فقال ابي : ما اصنع ؟؟ وهو ألثغ • فقال الرجل : ـ وانا اسمع ماجرى واضبطه ـ : ان اللثغة عادة سوء تسبق الى الصبي اول مايتكلم لجهله بتحقق الالفاظ ••• وانا ازيل هذا عنه ••• ولا ارضى بتركك له عليه • ثم قال لي : اخرج لسانك يابني • فأخرجته • فتأمله فقال : الجارحة صحيحة • قل : يابني : رآء • واجعل لسانك في سقف حلقك • ففعلت ذلك ـ فلم يستو لي فمازال يرفق بي تارة ويخشن اخرى • وينقل لساني من موضع الى موضع في فمي • ويأمرني ان اقول الرآء فيه • فاذا لم يستو لي نقل لساني الى موضع اخر من فمي دفعات كثيرة • وطالبني



بلفظ الرآء منه ••• وهكذا • حتى مرن لساني وذهبت

عني اللثغة)) •

اهم المراجع

١• الدكتور نوري جعفر : الفكر : طبيعته وتطوره • ١٩٧٠

٢• الدكتور نوري جعفر : الاصالة في العلم والفن / ١٩٧٩•

٣• الدكتور نوري جعفر : آراء تربوية صائبه في التراث / ١٩٨٠•

٤• الدكتور نوري جعفر : الابداع لجميع الناس / ١٩٨٦ •

